تكوين لبنان السياسي والاجتماعي عبر تاريخه الحديث والمعاصر . واذا اعتمدنا التلميح حول الحقائق المعروفة عن السلاح والتسليح في هذا البلد لكي لا نمس اوتارا حساسة في مرحلة حرجة ، فاننا نكتفي بالتساؤل :

— من في لبنان لا يملك بندقية ؟ ومن من ساسة لبنان وقادته، ولا سيما التقليديين منهم لا يملك قوات مسلحة ؟ بل من لا يعرف أن لبنان كان في السنوات الماضية أهم قاعدة لتجارة السلاح في المنطقة ؟ ان من يعرف المصادر التي يأخذ منها الفدائيون أسلحتهم ، يعرفون ، او يجب أن يعرفوا ، بأن هذه المصادر وغيرها قادرة على تسليح من تتحمل المقاومة زورا مسؤولية تسليحهم . ومن المؤكد ان لليسار اللبناني نفسه ما يقوله في مجال الرد على هذه القضية عندما يسأل من يسألونه : وانتم من أين لكم ما عندكم من سلاح ؟ هذا اذا لم يكشف اوراق بعض غلاة اليمينيين ممن جعلوا السلاح تجارة رائجة لهم .

● ويقول البعض :

— نحن نفهم ان السلاح في أيدي رجال المقاومة يستهدف العدو الصهيوني في الارض المحتلة . فلم كل هذا السلاح ، ولا سيما الثقيل منه ، في المخيمات وداخل المدن ؟

في بداية الرد على هذا التساؤل لا بد من الملاحظة بأنه سؤال طارىء . ولولا تفجر الازمة الاخيرة والوصول الى مستوى الاشتباكات العسكرية لما استطاع لبناني او فلسطيني ان يطرح مثل هذا السؤال لانه كان من المستحيل ان يخطر له على بال . هذا يعني ان السلاح الذي ظهر ، كان من الممكن ان يبقى في عالم السرية ، وكأنه غير موجود فعلا ، لولا اختلال جسر الثقة بين المقاومة والسلطة وتصاعد الازمة الى مستوى الانفجار فالاشتباك بمختلف الاسلحة وصولا الى الطيران . السلاح الذي استعمل في الاشتباكات المؤلمة لم يأت فور وقوع الاشتباك . كان موجودا من قبل ولكن في بطن الارض حيث يجب ان يكون كل سلاح الا عندما نحمله لنضرب العدو . تعود الثقة مرة اخرى يختفي السلاح ويعود فقط للظهور ان هي اهتزت وضاعت . هذا هو الاساس السياسي الوحيد الذي يضبط السلاح ، وغير ذلك خداع للذات والعقل ولقدرات التحرك السريع .

ونأتي الان لصلب السؤال :

في ظل ظروف قتالية ، لا السلاح ولا حملة السلاح يجب ان يكونوا في غير ساحات القتال . المقاومة تعترف بذلك ولكن والكل يعرف أين نحن الان من الظروف القتالية . هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى ، على الذين يدعون الدهشة من وجود السلاح في المخيمات والمدن ان يتذكروا معنا مسلسل التصفيات الجسدية الذي تعرض له الفلسطينيون ولا يزالون في كل أصقاع الارض ، سواء عن طريق العدو الصهيوني مباشرة او عن طريق عملائه من افراد ومؤسسات ودول . ان اميركا ذاتها لم تخجل من اعلان الحرب على الفلسطينيين تحت شعار مكافحة الارهاب . واقامت من أجل ذلك الدوائر المختصة بكل ما تحتاجه من خبراء ورجال واموال واسلحة .

ولكي لا نكرر « فيلم » أيلول في الاردن ، وهو لا يزال قريبا الى ذاكرة كل منصف حر ، فهل نسينا ما جرى للفلسطينيين في مخيماتهم في الجنوب وفي الشمال ، وما جرى لقادتهم في بيروت قبيل الاشتباكات المؤلمة الاخيرة بليلتين فقط ؟ اولم توزع أجهزة السلطة اللبنانية نفسها مذكرات خدمة على قواتها المسلحة بأن ثمة اخبار عن امكانية انزال اسرائيلي في مخيمات الفلسطينيين في لبنان ؟ ولو كان في قدرة لبنان العسكرية ان يحمي المقيمين فوق ترابه من حرب الابادة التي تشنها اسرائيل ، بل لو ابدى لبنان ، مجرد موقف سياسي